

النظر أن مَنْ جعل فى هذه الأمور الموجودة فى الخارج شيئين - أحدهما : وجودها ، والثانى : ذواتها ، أو جعل لها حقيقة مطلقة موجودة زائدة على عينها الموجودة فقد غلط غلطاً قوياً ، واشتبه عليه ما يأخذه من العقل من المعانى المجردة المطلقة عن التعيين ، ومن الماهيات المجردة عن الوجود الخارجى بما هو موجود فى الخارج من ذلك ، ولم يدر أن متصورات العقل ومقدراته أوسع مما هو موجود حاصل بذاته ، كما يتصور المعدومات والممتنعات والمشروطات ، ويقدر ما لا وجود له ألبتة مما يمكن أو لا يمكن ، ويأخذ من المعينات صفات مطلقة فيه . فإن الموجودات ذوات متصورة فيه ، لكن هذا القول أشد جهلاً وكفراً بالله تعالى ، فإن صاحبه لا يفرق بين المظاهر والظاهر ، ولا يجعل الكثرة والتفرقة إلا فى ذهن الإنسان لما كان محجوباً عن شهود الحقيقة ، فلما انكشف غطاؤه عاين أنه لم يكن غير ، وأن الرأى عين المرئى ، والشاهد عين المشهود .

\* \* \*

## فصل

### فى أن الحلول والاتحاد أربعة أقسام

واعلم أن هذه المقالات لا أعرفها لأحد من أمة قبل هؤلاء على هذا الوجه ، ولكن رأيت فى بعض كتب الفلسفة المنقولة عن أرسطو (١) أنه حكى عن بعض الفلاسفة قوله : إن الوجود واحد ورد ذلك ، وحسبك بمذهب لا يرضاه متكلمة الصابئين .

---

(١) أرسطو : (٣٨٤ - ٣٢٢ ق . م) . مرى الإسكندر الأكبر ، وتلميذ أفلاطون ، فيلسوف يونانى من كبار مفكرى البشرية ، تأثرت بوادر التفكير العربى بتأليفه التى نقلها إلى العربية النقلة السريان وأهمهم إسحاق بن حنين ، مؤسس مذهب « فلسفة المشائين » . مؤلفاته فى المنطق والطبيعات والإلهيات والأخلاق ، أهمها « المقولات » ، « الجدل » ، « الخطابة » ، « كتاب ما بعد الطبيعة » ، « السياسة » ، « النفس » (البلتاجى) .

وإنما حدثت هذه المقالات بحدوث دولة التتار ، وإنما كان الكفر الحلول العام أو الاتحاد أو الحلول الخاص . وذلك أن القسمة رباعية لأن من جعل الرب هو العبد حقيقة ، فيما أن يقول بحلوله فيه ، أو اتحاده به ، وعلى التقديرين : فيما أن يجعل ذلك مختصاً ببعض الخلق كالمسيح ، أو يجعله عاماً لجميع الخلق . فهذه أربعة أقسام :

الأول : هو الحلول الخاص - وهو قول النسطورية (١) من النصارى ونحوهم ممن يقول : إن اللاهوت حلٌّ في الناسوت وتدرع به كحلول الماء في الإناء ، وهؤلاء حققوا كفر النصارى بسبب مخالطتهم للمسلمين ، وكان أولهم في زمن المأمون . وهذا قول من وافق هؤلاء النصارى من غالبية هذه الأمة ، كغالبية الرافضة (٢) الذين يقولون : إنه حلٌّ بعليّ بن أبي طالب وأئمة أهل بيته ، وغالبية النُسَّاك الذين يقولون بالحلول في الأولياء ومن يعتقدون فيه الولاية ، أو في بعضهم كالحلاج ويونس والحاكم ونحو هؤلاء (٣) .

(١) للتعريف بالنسطورية انظر ج ١ هامش ص ٢١٩

(٢) للتعريف بالرافضة انظر ج ١ هامش ص ٩١ ، ٢١٣

(٣) الحلاج : الحسين بن منصور، توفي سنة ٣٠٩ هـ ، ولد في الطور قرب البيضاء ( فارس ) ، وتوفي في بغداد ، فيلسوف صوفي ، قضى السنوات في خلوات الصوفية لا سيما مع التستري والجنيد ، ثم طاف البلدان واعياً إلى الزهد ، اتهم بالزندقة والقول بالحلول فحكّم عليه وسجن ثمانى سنوات في بغداد ، ثم عذب وصلب بعد أن قُطعت أطرافه لادعائه الربوبية . ولقوله بسقوط الفرائض واستبدالها بقرابات وغيرها . ومما حدث في أثناء محاكمته أن حكّم على تلميذه أبي العباس أحمد بن عطاء بالموت كذلك لقوله بقالته ، فضُرب على رأسه بأمر القاضى حتى نزف الدم من أنفه وفمه فمات .

أنشأ الحلاج مذهباً في التصوف وأثار حوله الجدل ، فقدّسه البعض وكفّره غيرهم ، لم يبق من مؤلفاته باللغة العربية إلا كتاب « الطواسين » .

● أما الحاكم فهو : منصور بن عبد العزيز بن المعز الفاطمي ، ادعى الألوهية ، وكان غدوراً سفاكاً للدماء ، تشير تصرفاته المتناقضة دهشة بالغة تدفع إلى الظن بأنه كان نهب لوثة عقلية جامحة ، ولد سنة ٣٧٥ هـ ، ولقى مصرعه سنة ٤١١ هـ على يد عبيد لابن دواس ، تنفيذاً لمؤامرة ديرتها له أخته ست الملك للخلاص منه ، وما زال أتباعه الدروز حتى اليوم ينتظرون رجوعه ، إذ يؤمنون بأنه لم يُقتل ، وإنما اختفى وسيعود مرة ثانية . ( البلتاجي ) .

والثانى : هو الاتحاد الخاص - وهو قول يعقوبية النصارى (١) وهم أخبث قولا وهم السودان والقبط ، يقولون : إن اللاهوت والناسوت اختلطا وامتزجا باختلاط اللبن بالماء ، وهو قول من وافق هؤلاء من غالبية المنتسبين إلى الإسلام .

والثالث : هو الحلول العام - وهو القول الذى ذكره أئمة أهل السنة والحديث عن طائفة من الجهمية (٢) المتقدمين ، وهو قول غالب متعبدة الجهمية الذين يقولون : إن الله بذاته فى كل مكان ، ويتمسكون بمتشابه القرآن كقوله : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ (٤) والرد على هؤلاء كثير مشهور فى كلام أئمة السنة وأهل المعرفة وعلماء الحديث .

### ● كفر القائلين بالاتحاد العام أعظم من كفر النصارى :

الرابع : الاتحاد العام - وهو قول هؤلاء الملاحدة الذين يزعمون أنه عين وجود الكائنات ، وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى من وجهين : من جهة أن أولئك قالوا : إن الرب يتحد بعبده الذى قرّبه واصطفاه بعد أن لم يكونا متحدين ، وهؤلاء يقولون : ما زال الرب هو العبد وغيره من المخلوقات ليس هو غيره ، والثانى : من جهة أن أولئك خصوا ذلك بمن عظموه كالسيح ، وهؤلاء جعلوا ذلك سارياً فى الكلاب والخنازير والقذر والأوساخ ، وإذا كان الله تعالى قال : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ .. الآية (٥) . فكيف بمن قال : إن الله هو الكفار والمنافقون والصبيان والمجانين والأنجاس والأنثان وكل شئ ؟ وإذا كان الله قد ردّ قول اليهود والنصارى لما قالوا : ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ (٦) ، وقال لهم : ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ،

(١) للتعريف باليعقوبية انظر ج ١ هامش ص ٢١٩

(٢) للتعريف بالجهمية انظر ج ١ هامش ص ١١٧ ، وج ٣ ص ١٢

(٣) الأنعام : ٣ (٤) الحديد : ٤

(٥) المائدة : ١٧ (٦) المائدة : ١٨

بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ ﴿... الآية (١)﴾ ، فكيف بمن يزعم أن اليهود والنصارى هم أعيان وجود الرب الخالق ليسوا غيره ولا سواه ؟ ولا يُتصور أن يعذب إلا نفسه ؟ وأن كل ناطق فى الكون فهو عين السامع ؟ كما فى قوله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لَأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثْتُ بِهَا أَنْفُسَهَا » ، وَأَنْ النَّاكَحَ عَيْنَ الْمَنكُوحِ ، حتى قال شاعرهم ..... (٢) .

واعلم أن هؤلاء لما كان كفرهم فى قولهم : « إِنَّ اللَّهَ هُوَ مَخْلُوقَاتِهِ كُلِّهَا » أعظم من كفر النصارى بقولهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ (٣) فكان النصارى ضلالاً أكثرهم لا يعقلون مذهبهم فى التوحيد إذ هو شئ متخيل لا يعلم ولا يُعقل ، حيث يجعلون الرب جوهرأ واحداً ثم يجعلونه ثلاثة جواهر ، ويتأوكون ذلك بتعدد الخواص والأشكال التى هى الأقانيم ، والخواص عندهم ليست جواهر ، فيتناقضون مع كفرهم ، كذلك هؤلاء الملاحدة الاتحادية ضلالاً أكثرهم لا يعقلون قول رؤوسهم ولا يفقهونه ، وهم فى ذلك كالنصارى ، كلما كان الشيخ أحمق وأجهل ، كان بالله أعرف ، وعندهم أعظم ، ولهم حظ من عبادة الرب الذى كفروا به كما للنصارى . هذا ما دام أحدهم فى الحجاب ، فإذا ارتفع عن قلبه وعرف أنه هو فهو بالخيار بين أن يسقط عن نفسه الأمر والنهى ويبقى سدى يفعل ما أحب ، وبين أن يقوم بمرتبة الأمر والنهى لحفظ المراتب ، وليقتدى به الناس المحجوبون ، وهم غالب الخلق . ويزعمون أن الأنبياء كانوا كذلك إذ عدّوهم كاملين .

\* \* \*

(١) المائة : ١٨

(٢) سقط من الأصل هذا الشعر وقد يُعرف مما سبق من أشعارهم .

(٣) المائة : ١٧